

الامامة والسياسة

[158] ذكر الحائك المتطفل قال: وذكروا أن الرشيد لما انصرف من الحجاز وصار

بالرقة (1) قال لوزير عمر بن مسعدة: ما زلت تكلمني وتستلطفني في الرجحي حتى وليته
الاهواز، فقعد في سرّة الدنيا يأكلها خضماً (2) وقضماً، ولم يوجه إلي درهماً، فاخرج إليه من
ساعتك هذه، حتى تحل ساحتها، ثم لا تدع له حرمة إلا انتهكتها، ولا أكرومة إلا أهنتها، ثم لا
تسمع له حجة يرفعها، ولا تقبل منه كلمة ينهيها، إن اعتذر فلا تقبل له عذراً، وإن قال فلا
تقبل له قولاً، فشر قائل. وأكذب متظلم، فقلت في نفسي: أبعد الوزارة أصر مستحناً على عامل
خراج؟ ولكن لم أجد بداً من طاعة أمير المؤمنين، إذ كانت ولايته بسببي. فقلت: أخرج يا
أمير المؤمنين؟ قال: فاحلف أنك لا تلبث في بغداد إلا يوماً، فحلفت له، ثم انحدرت إلى
بغداد، ثم خرجت، فلما صرت بين دير هرقل وبين دير العاقول، إذا رجل يصيح: يا ملاح، يا
ملاح، رجل منقطع. فقلت للملاح: قرب إلى الشط. فقال: يا سيدي هذا رجل شاذ وإن قعد معك
آذاك، قال الوزير: فلم يلتفت إليه ولقوله، وأمرت الغلمان فأدخلوه فقعد، فلما حضر
الغداء دعوته، فكان يأكل أكل جائع بنهامة، إلا أنه نظيف الاكل، فلما رفع الطعام، أردت أن
يقوم ويغسل يديه في ناحية، فلم يفعل، فغمزه الغلمان، فلم يفعل، فتشاغلت عنه ليقوم، ثم
قلت له: يا هذا ما صناعتك؟ قال لي: حائك، فقلت في نفسي: هذه شر من الأولى، ما ألوم غير
نفسي، إذ لم أقبل ممن نصحتي، وصرت أواكل الحوكة (3). فقلت: توصاً يا أخي، فتوصاً، ثم قال
لي: جعلت فداك: قد سألتني عن صناعتي، فما صناعتك أنت؟ فقلت في نفسي: هذه شر من الأولى،
وكرهت أن أذكر الوزارة، وقلت أقتصر على الكتابة. فقلت له: كاتب. فقال: إن الكتابة على
خمس أصناف: كاتب رسائل، يحتاج أن يعرف الفصل من الوصل، والصدور ورقيق الكلام، والتهاني
والتعازي، والترهيب والترغيب، والمقصود والممدود، وجملًا من العربية. وكاتب جند يحتاج
إلى أن يعرف حساب التقدير، وشيات (4) الدواب، وحلى الناس ونعوتهم (5). وكاتب قاض،
(1) الرقة: بلد على الفرات. (2) الخضم: الاكل
مع ملء الفم، وأكل الرطب، والقضم أكل اليابس، والمراد أنه يأكل خير الاهواز جميعه رطباً
ويابساً ولا يترك من خيرها شيئاً للدولة. (3) الحوكة: جمع حائك وهو خياط الثياب. (4) شيات
الدواب: علاماتها. (5) نعوتهم: جمع نعت وهو الصفه أي أوصافهم. (*)